

الفصل الرابع
الحوار الإسلامي للتعايش
مع الغرب



الحوار الإسلامي للتعايش مع الغرب

مقدمة:

لقد أصبح الحوار في عالم اليوم ضرورة مهمة من ضرورات العصر من أجل التغلب على المشكلات الواقعة لعالمنا على جميع المستويات، بل يعد الحوار بين الأديان في كثير من الأحيان بمثابة الخلفية لبقية المشكلات، لما للدين من تأثير عميق في نفوس الناس، ومن هنا فإنه لا يمكن عزل الحوار بين الأديان السماوية الكبرى عن ألوان الحوارات الأخرى؛ لأنه يتشابك معها بطريقة أو بأخرى تشابكًا ظاهريًا أو خفيًا، أردنا أو لم نرد، والحوار بهذا الشكل - المعنى - يعد أيضًا جزءًا لا يتجزأ من الحوار بين الحضارات، فالحضارات في كل مكان في العالم قامت على أساس ديني^(١).

ومنذ بدء الدعوة الإسلامية، والإسلام يقيم حوارًا مع الآخر - الغرب - لأنه جاء يدعو الناس جميعًا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، ويهديهم إلى الصراط المستقيم.

فنشأت الدعوة في بيئة مشرقة تعبد الأصنام والأوثان، وكان الخطاب موجهاً إلى هؤلاء، ورغم المواجهة الشرسة من قبلهم، ورغم محاربتهم للنبي ﷺ واضطهادهم له وللقللة التي آمنت معه، فقد خاطبه الله سبحانه وتعالى بقوله: ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [الأعراف].

والإسلام يبحث المسلمين على الحوار الهادئ والجدل الرصين مع أهل الكتاب، باستخدام الوسائل العقلية التي تتسم بالحكمة والاعتزان والموضوعية. وإذا أردنا أن نتعرف على الأسلوب الأمثل في الدعوة إلى الله والحوار مع الآخر - الغرب - فعليًا أن نتخذ من الرسول ﷺ القدوة الحسنة، والهدى الصحيح والنهج الأرقى؛ لأن الرسول ﷺ هو الداعية الأول الذي علمنا كيف ندعو إلى الله^(٢).

وإن الغرب منظومة حضارية مترابطة ومتكاملة، من القيم والمبادئ والأفكار والمذاهب والسياسات تضح بالحركة وتبحث عن مصالحها وتضعها في مقدمة أولوياتها،

(١) خالد محمد الأصور: حوار الأديان (أهدافه - شروطه - وسائله)، ص ١٦٣، من سلسلة فكر المواجهة (٢) مرجع سابق.

(٢) محمد علي الجوزو: الحوار مع الغرب، ص ٤٣٩، بحث مقدم للمؤتمر العام الرابع عشر للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية بالقاهرة، مرجع سابق.

وتتعامل مع العالم، من منطلق الحرص على هذه المصالح واستثمارها وتنميتها، والحفاظ عليها بكل الطرق والوسائل. ولما نصل إلى معرفة ذلك يكون علينا أن نعرف طبيعة المخاطب الذى نسعى للحوار معه، ثم علينا أن نعرف لهذا الحوار قيمته، وطبيعته، ودوافعه وأهدافه، وشروطه ووسائله، منطلقاته، ومجالاته، وأنواعه أو مستوياته، ومنهج القرآن فى عرض الحوار، ونعرف قبل هذا كله ما نريده نحن من الحوار، هل نريد الحوار من أجل الحوار؟ أم نريد حوارًا من أجل مصالحنا، ومن ثم فالحوار الهادف (الإيجابى) النافع المجدى هو الذى يستهدف كل هذه الغايات جميعًا.

والله سبحانه وتعالى ميز الإنسان بنعمتى العقل واللسان على سائر المخلوقات وعن طريقهما يستطيع الإنسان أن يمارس ويناقش أموره بشكل أفضل مع جيرانه، ويدافع عنها، ويتحاور فى شأن نقط الخلاف بينه وبين غيره، ومن خلال الحوار قد يصل إلى الاتفاق. قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّمَا أَعْطُكُمْ بِوَاحِدَةٍ أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ مِثْلَىٰ خِزْفٍ ثُمَّ تَذْكُرُوا مَا بِصَاحِبِكُمْ مِنْ جُنُودٍ إِن هُوَ إِلَّا تَذِيرٌ لَّكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿١١﴾ [سبا]. وقول تعالى: ﴿ أَلَمْ نَجْعَلْ لَهُ عَيْنَيْنِ ﴿١٠﴾ وَلِسَانًا وَشَفَتَيْنِ ﴿١١﴾ [البلد]، وقول تعالى: ﴿ وَأَجْعَل لِي لِسَانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠﴾ [الشعراء]. والتأمل للقرآن الكريم يجد فيه الهداية والرشاد والإصلاح لأسس الحوار مع الغرب (الأخر).

معنى الحوار وقيمته:

أسلوب الحوار هو الأسلوب الغالب فى القرآن الكريم، وبخاصة عند عرض القصص القرآنى، حتى أن كلمة (قال) ومشتقاتها وردت فى القرآن الكريم فى أكثر من سبعائه وألف موضع، ذلك لأن الحوار يشحذ الذهن، ويوقظ الشعور، ويخصب الخيال، ويجول الفكرة أو الموضوع إلى مشهد أو صورة تنبض بالحياة، فيكون ذلك أدعى إلى التأثير والإقناع. والحوار أو التحاور أو المحاوره هى مراجعة الكلام، وهى المجاوبه والمحادثة وتبادل الخطاب، ومنها أيضًا المجادله والمخاصمة والمحاجة^(١).

وقد ورد لفظ (التحاور) بصيغة المصدر مرة واحدة فى القرآن الكريم، وذلك فى سورة المجادله فى قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الْبَنِي إِسْرَائِيلَ يَعْجَلُ لَكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ سَمِعُ نَحْوَرِكُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١٠﴾ [المجادلة]. كما ورد لفظ (مجاور) مرتين فى المثل

(١) عطية محمد مصطفى: الحوار فى القرآن الكريم، موضوعاته .. وأهدافه، ص ٣، مطبعة السواح الحديثة، القاهرة، ٢٠٠٢م.

الذي ضربه الله في سورة الكهف لرجلين أحدهما مؤمن والآخر كافر، جاحد فضل ربه عليه، وذلك في قوله تعالى: ﴿ وَأَضْرَبَ لَهُمْ مَثَلًا رَجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِحَدِيثِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِّنْ أَعْنَبٍ وَحَفَفْتَنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زُرْعًا ﴿١٦﴾ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكْلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِثْلَهُ شَيْعًا وَفَجَّرْنَا خِلْفَهُمَا نَهْرًا ﴿١٧﴾ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ﴿١٨﴾ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ هَذِهِ أَبَدًا ﴿١٩﴾ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأُجِدَنَّ حَيْرًا مِّثْلَهَا مُنْقَلَبًا ﴿٢٠﴾ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴿٢١﴾ لَيْكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٢٢﴾ ﴾ [الكهف].

ولاهمية أسلوب الحوار نرى أن القرآن الكريم يطلب منا أن نحاور غير المسلمين، فيعرض علينا أقوالهم، ثم يعلمنا الرد عليهم، كما جاء في قوله تعالى في شأن أهل الكتاب: ﴿ وَقَالُوا لَنْ تَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَّعْدُودَةً قُلْ أَتُخَذُكُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٠٦﴾ بَلَى مَنْ كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَاطَتْ بِهِ خَطِيئَتُهُ فَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [البقرة]. وقوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ ۚ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٠٨﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٠٩﴾ ﴾ [البقرة]. وإن لفظ (قالوا) ورد في القرآن الكريم في اثنين وثلاثين موضعًا، ولفظ (قل) ورد بنفس العدد في اثنين وثلاثين وثلاثمائة موضعًا^(١).

وقد يأتي الحوار على العكس من ذلك، إذ يعرض القرآن الكريم ما يقال من الرسول أو المؤمنين للكفار أو المنافقين، ثم يبين ما يمكن أن يردوا به، ثم يعقب على ذلك بحسم القضية موضوع الحوار^(٢). قال تعالى في شأن المنافقين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١٠٥﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ

(١) انظر: المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، مادة (قول)، تحقيق: محمد فواد عبد الباقي.

(٢) عطية محمد مصطفى: مرجع سابق، ص ٥.

السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٠﴾ [البقرة] . وقال في شأن الكافرين: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَاءَنَا أُولَئِكَ كَانُوا ءَابَاؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠١﴾ [البقرة] .

والقرآن الكريم يأمرنا أن نفتح حوارًا مع الآخرين، كما في قوله تعالى: ﴿ سَلِّ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ ذُرِّيَّتًا لِمَنِ الْقَوْلُ رَبَّنَا إِنَّكَ لَمَنَّانٌ ﴿١٠٢﴾ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٣﴾ [البقرة] ، وقوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَأَهَّلِ الْكُتُبُ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿١٠٤﴾ [آل عمران] .

الحوار والكلمة:

والحوار مراجعة ومواجهة، والمراجعة إنسانية، ومادامت إنسانية فهي في المعنى عبر الكلمة المنطوقة أو المكتوبة، وربما عبر إشارتها المعهودة لدى من لا يحسن نطقها أو تناول قلمها. والحوار مواجهة بين من اختصوا بالوجه المعبر، والوجه صفحة مرسله ومستقبله في آن معًا: فالقم فيه: مصدر معرفة مقولة ومرسلة. والاذن فيه: طريقة موصلة للفكر الى مستقر الصدر، الصدر الحاوي^(١)، يقول تعالى في ذلك ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١٠٥﴾ [الشرح: ١]، ﴿ قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي ﴿١٠٦﴾ [طه] . وأما العين الباصرة فكفيلة بدعم القم قائلًا مرسلاً، ودعم الأذن مستقبله.

والحوار فن في المراجعة والمواجهة، تُراجع بينك وبين ذاتك، وتواجه الآخر بما راجعت وبها حورت في خلدك وداخلك، وهو على الكلمة يقوم، وقد غدا اليوم فناً من الفنون المؤهلة إلى درجة العلوم له قواعده ونظمه وأسسها. على أن الكلمة التي يتركز عليها الحوار ليست مطلقة ولا حرة، فليس القصد في الحوار أن تتكلم ولكن القصد والمطلوب أن تصبر على كلام الآخر، فلا تستخدم في مواجهته إلا اللاتق^(٢) . قال تعالى: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا ﴿١٠٧﴾ [الفرقان] .

[الفرقان].

(١) محمود عكام: "الحوار من الإنسان إلى الإسلام"، ص ٢٠، من أبحاث الموسم الثقافي الثالث لمنتدى الفكر والثقافة، بعنوان: "الحوار والديمقراطية في الشرق الأوسط"، ديترويت، الولايات المتحدة، ط ١، ١٤٢٢هـ / ٢٠٠١م.

(٢) محمود عكام: مرجع سابق، ص ٢١.

والكلمة هي الأساس في الحوار وهي في غايتها نوعان: فقد تكون أداة فتك وفتنة، وقد تكون أداة مواصلة إنسانية؛ لأن التواصل بالكلمة هو غاية الحوار، قال تعالى: ﴿ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾ [البقرة: ٨٣]. وفي الحديث الشريف أنه ﷺ قال: « من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليقل خييراً أو ليصمت »^(١). وشتان بين كلمة مرغوبة تعنى الخير وتحمله، وبين كلمة أخرى تعنى الشر وتسوقه، قال ﷺ: « إن العبد ليتكلم بالكلمة من رضوان الله لا يلقي لها بالاً يرفعه الله بها درجات، وإن العبد ليتكلم بالكلمة من سخط الله لا يلقي لها بالاً يهوى بها في جهنم »^(٢). الحوار في النهاية: كلمة مناسبة للإنسان الذي اختير أميناً في الأرض وموضوعاً شاغلاً لأهل السماء.

منهج القرآن في عرض الحوار:

القرآن الكريم يخاطب الكينونة البشرية كلها، فهو موجه إلى عقول الناس وقلوبهم وفطرهم، وغرائزهم، يعمد إلى العقول فيوجهها إلى التفكير، وإلى القلوب فيوقظها من غفلتها، وإلى الفطر فينقيها، وإلى الغرائز فيعليها، لذلك نرى القرآن الكريم يعرض كل حوار بها يناسبه من الأساليب، تلميحاً أو تصريحاً، ذكراً أو حذفاً، ويستخدم من الأساليب الاستفهامية والتعجيبية، ويختار من الصور البيانية والألفاظ الموحية ما يحقق الهدف الذي يرمى إليه، وفي كل هذا يراعى ما منحه الله للإنسان من قدرة على التفكير، والتذكر، والتخيل، والتصور، وحب البقاء، وما ركب فيه من غرائز الخوف والطمع وحب الاستعلاء، وما أودعه في فطرته من اتجاه إلى خالقه، والتعهد والالتزام باتباع الحق، وفي اتباع اللين والحكمة والمعظة الحسنة^(٣).

وقد يأتي الحوار في القرآن بين طرفين أو أكثر، بهدف تجلية فكر ما، أو إبراز تصور لموضوع ما، كموضوع استخلاف آدم عليه السلام وتكريم الله له، وتهيته لهذه الخلافة، فقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠].

وقد يكون الحوار مُحاجة بين خصمين حول قضية ما، يحاول كل منهما أن يراجع خصمه، وأن يقيم الحجة على صحة دعواه، محاولاً حرض خصمه، كالمحاجة التي كانت بين

(١) أخرجه مسلم: ك (الإيمان)، ب [الحث على إكرام الجار والضيف ولزوم الصمت إلا عن الخير] جـ ١، ص ٦٨، حديث رقم (٤٧).

(٢) أخرجه البخاري: ك (الرفاق)، ب [حفظ اللسان]، حديث رقم (٦١١٣)، جـ ٥، ص ٢٣٧٧.

(٣) عطية محمد مصطفى: مرجع سابق، ص ١٢.

إبراهيم عليه السلام والنمرود - الملك الذي كان يحكم في أيامه - في قوله تعالى: ﴿الَّذِي قَالَ لِتَارِيحِهِمْ لَا تُعِيبُوا لِي إِلَٰهَكُمْ إِنِّي كَافِرٌ فَاصْبِرْ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْحَبْلَ الْأَلْحَقَ﴾ [البقرة].

وقد يكون الحوار مراجعة الكلام لاستجلاء الحكم في مسألة ما، كالحوار الذي كان بين رسول الله ﷺ وخولة بنت ثعلبة - رضي الله عنها - والذي أشارت إليه سورة المجادلة في قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة].

وقد يكون الحوار لمعرفة وجه الحقيقة في أمر ما يشغل أحد طرفي الحوار، كالحوار بين الله تعالى وإبراهيم عليه السلام، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أُولَٰئِمُتٌ مُّؤْمِنُونَ قَالِ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ لَّيَطْمَئِنُّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة].

فإبراهيم عليه السلام يؤمن يقيناً أن الله يحيى الموتى، والذي قال للنمرود: «ربي الذي يحيى ويميت» يتطلع ويستشرف إلى أن يرى القدرة الإلهية وهي تعمل، فيسأل عن كيفية الإحياء، فكان ما كان.

وقد يكون الحوار بين الله تعالى وأحد رسله لتدريبه وإعداده لمواجهة من أرسله إليهم، كالحوار بين الله تعالى وموسى عليه السلام الذي تحكيه سورة طه، فبعد أن ناداه ربه بالوادي المقدس، ولقنه الحقائق الكبرى: حقيقة الألوهية والرسالة، قال تعالى: ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَمْوَسَىٰ ﴿١٠﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي وَلِيَ فِيهَا مَنَازِرُ أُخْرَىٰ ﴿١١﴾ قَالَ أَلْقِهَا يَمْوَسَىٰ ﴿١٢﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿١٣﴾ قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿١٤﴾ وَأَضْمُمْ يَدَكَ إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجَ بَيْضَاءَ مِّنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَىٰ ﴿١٥﴾ لِئُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه]، وبعد هذا التدريب يقول له ربه: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا تَنبَأُ فِي ذِكْرِي ﴿١٧﴾ أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾

﴿ فَقُولَا لَهُ، قَوْلَا لِنِنَّا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَتَحَنَّنُ ﴾ [طه]. أى: اتباع الدين والحكمة والموعظة الحسنة، والله تعالى يأمر باتباع الحكمة في الدعوة ﴿ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ آدَفَعُ بِأَلْتِي هِي أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت]. وتأكيذا لهذا المنهج ينهى الله المؤمنين عن اتباع أساليب السفهاء ومجاراتهم في السب لمعتقدات الأخر: ﴿ وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدَوًّا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ﴾ [الأنعام: ١٠٨].

فالقرآن الكريم سباق في دعوته إلى الحوار، ولم يكتف القرآن الكريم بذلك، بل رسم أيضا منهج هذا الحوار: قال تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [العنكبوت: ٤٦]، ﴿ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [سبا]، ﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكٰذِبِينَ ﴾ [آل عمران].

فحتى حين أخفق الحوار لم تعلن الحرب على المخالفين، ولم تصوب لهم المطاعن، بل جاء الاقتراح بالدعاء إلى الله تعالى أن يعاقب الطرف الكاذب باللعنة، كما يقول تعالى: ﴿ فَلِذَلِكَ قَادَعُ وَأَسْتَقِمَّ كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَأُعْمَلَنَّا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴾ [الشورى]، ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ [الكهف: ٢٩]. ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة: ٢٥٥]، ﴿ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴾ [الكافرون].

وقد تحاور الرسول ﷺ مع وفود مسيحية وبصفة خاصة مع وفد نصارى نجران الذى قدم إلى (المدينة المنورة) برئاسة أسقفهم أبى الحارث. كما أن الرسول ﷺ قد عقد معاهدة مع اليهود حين هاجر إلى المدينة، كما أرسل العديد من الرسائل إلى الملوك الأكاسرة والقيصرة.

والحديث عن الحوار يفترض فيه وجود فرقاء متعددين يدور بينهم حوار، ومن ثم فإذا

لم يكن هناك قناعة (بالتعددية) يستحيل الحديث عن أى لون من ألوان الحوار، والإسلام يرى التعددية ليست مجرد حق من حقوق الإنسان ، وإنما يراها سنة من سنن الكون البشرى، حيث تنفرد الذات الإلهية وحدها بالوحدانية ما عدا الله سبحانه وتعالى يقوم على الازدواج والتعدد^(١). يقول تعالى فى ذلك: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿٢٠﴾ إِلَّا مَنْ رَجِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [مرد]. فالأصل أن يكون هناك تعدد واختلافات وفراق، هذا هو التأسيس لقضية الحوار بين المسلمين وغيرهم. والتعدد موجود فى الشرائع، والمناهج تقتضى التعدد فى الحضارات ، والإسلام حدد قانون العلاقات الدولية ، وقانون العلاقة بالآخر فى آيات الممتحنة، قال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِينِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾﴾ [الممتحنة]، فلا قتال إلا لمن يخرجنا من ديارنا، أو يقاتلنا فى ديننا، إذا موقف الإسلام من الآخر موقف البر والعدل والقسط، طالما أنه لا يفتننا عن ديننا. وأسلوب العلاقة بالآخر يحددها القرآن الكريم، فنحن مطالبون كشرط لإيماننا أن نؤمن: بالكتب والرسالات السابقة، قال تعالى: ﴿ءَأَمِنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمِنَ بِاللَّهِ وَمَلَأَتْ بِهِ وَكُنِيَهِ وَرُسُلِهِ لَا تَفْرِقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٢﴾﴾ [البقرة].

الإنسان والحوار:

كلاهما يقوم على الكلمة، وتجمعها الكلمة، وعلى أساس الحوار يلتقى الإنسان ، أو ليس الإنسان حامل كلمة أو ناقل كلمة، ومبلغ كلمة، وتلك مهمته التى كلف بها، أمانة يسعى إلى أدائها بكل جدية^(٢). قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ﴾ [العلق: ١]، ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ﴿٢٣﴾﴾ [الزمل]، ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا﴾ [فصلت: ٣٠]، ﴿يَتَأْتِيَ الرَّسُولُ بِلَغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]. والحديث عن الإنسان والحوار حديث عن نون والقلم ، عن الصحيفة والحرف ، حديث مجلى يظهر إنسانية الإنسان. ويقول "فروم": الإنسان بالحب يسمو ، وبالقلم يسود ، وبالحوار يتقدم .

(١) خالد محمد الأصور: حوار الأديان (أهدافه - شروطه - وسائله)، مرجع سابق ، ص ١٦٥.

(٢) محمود عكام: مرجع سابق ، ص ٢٢.

الإسلام والحوار:

الإسلام حوار يبدأ من الذات ومعها، ويستمر ويتابع مع الآخر أى مع الإنسان، وينتهي إعلانا مفاده، قال تعالى: ﴿ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقر: ٢٥٦]، ﴿ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِلَّا عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلْغُ ﴾ [الشورى: ٤٨].

أما بدايته مع الذات، ففي قصة إبراهيم عليه السلام نقرأ قوله تعالى: ﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أُحِبُّ الْإِفْلِينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ إِلَهِي بِنَارٍ فَلَمَّا يَدِينِيَ رَبِّي لَا أَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا رَأَى السَّمَاسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَّتْ قَالَ يَا قَوْمِ إنيُّ بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴾ [الأنعام].

أما استمراره ومتابعته مع الآخر، فنقرأ قوله تعالى: ﴿ قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ مَخَاوِرُكُمْ ﴾ [المجادلة: ١].

وقوله تعالى: ﴿ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاهُ رَجُلًا ﴾ [الكهف].

وأما نهايته الإعلانية، فقد قال تعالى: ﴿ فَسَتَذَكُرُونَ مَا أَقُولُ لَكُمْ وَأَفَوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴾ [غافر].

ونعرض مثالين من السيرة النبوية، أولهما: حوار مع مشرك، والثاني: حوار مع شاب مؤمن يبغي فعل كبيرة.

المثال الأول:

روى ابن خزيمة بإسناده، أن قريشا جاءت إلى الحصين والد عمران، وكانوا يعظمونه، فقالوا له: كلم هذا الرجل أى محمدا ﷺ فإنه يذكر آهتنا ويسبهم. فجاؤوا معه حتى جلسوا قريبا من باب النبي ﷺ، فقال: «أوسعوا للشيخ» وعمران وأصحابه متوافرون، فقال حصين: ما هذا الذى بلغنى عنك، أنك تشتم آهتنا وتذكرهم؟

فقال النبي ﷺ: «يا حصين، كم تعبد من إله؟»

فقال حصين: سبعا في الأرض وواحد في السماء.

فقال النبي ﷺ: « فإذا أصابك الضر من تدعو؟ ».

فقال حصين: الذي في السماء.

فقال النبي ﷺ: « فيستجيب لك وحده وتشرکه معهم، أرضيته في الشكر، أم تخاف أن يغلب عليك؟ »

فقال حصين: ولا واحدة من هاتين. قال: وعلمت أني لم أكلم مثله.

فقال النبي ﷺ: « يا حصين، أسلم تسلم. ».

فقال حصين: إن لي قوما وعشيرة، فماذا أقول؟

قال النبي ﷺ قل: اللهم أني أستهديك لرشد أمرى، وأسألك علما ينفعنى.

فقالها حصين: فلم يقم حتى أسلم، فقام إليه ابنه عمران فقبل رأسه ويديه ورجليه.

فلما رأى النبي ﷺ ذلك بكى.

وقال: « بكيت من صنيع عمران، دخل حصين وهو كافر فلم يقم إليه عمران ولم يلتفت ناحيته، فلما أسلم قضى حقه، فدخلني من ذلك الرقة، فلما أراد حصين أن يخرج، قال لأصحابه: « قوموا فشيعوه إلى منزله، فلما خرج من سدة الباب رآته قريش، فقالوا: صبأ، وتفرقوا عنه^(١). »

المثال الثاني:

روى الهيثمي في مجمع الزوائد: أن رجلا جاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في الزنى.

فقال النبي ﷺ: « أترضاه لابنتك؟ »

فقال الرجل: لا.

فقال: « وكذلك الناس لا يرضونه »

فقال النبي ﷺ: « أترضاه لأمك؟ »

فقال الرجل: لا.

فقال: « كذلك الناس لا يرضونه. »

(١) أنظر: الاصابة لابن حجر العسقلاني: ج ٢، طبعة دار الجليل، الطبعة الأولى، ١٤١٢ هـ / ١٩٩٢، ص ٨٧.

ثم قربه ، ومسح صدره قائلاً: «اللهم طهر قلبه، وحصن فرجه، واغفر ذنبه». فقال الرجل : دخلت إلى النبي ﷺ وما شئ أحب إلى قلبى من الزنى ، وخرجت وما شئ أبغض إلى قلبى منه^(١).
دائرة الحوار ومجالاته:

إننا بحاجة إلى محاوره الغرب والاتصال به لبيان موقفنا من هذه القضايا - حقوق الإنسان، الديمقراطية، مفهوم الأسرة، والمرأة وحقوقها ، وقوانين أنظمة الاقتصاد - ومخاطبة مفكره وقياديه، وأن نسمعهم ذلك فى بلدانهم؛ لأن لدينا الكثير من الخير الذى يجهلونه ، والعلم الذى يحتاجون إليه على أن يكون منطلقنا فى ذلك ما أوجبه الله تعالى من بيان الحق ، فى قوله تعالى: ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ ﴾ [آل عمران: ١٨٧]، وأن يكون ذلك على الأساس الذى شرعه الله فى قوله تعالى: ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِّدْ لَهُم بِآيَاتِنَا هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥]. قل - الإنسان - ماذا تريد إذا كنت محاوراً، وأسمع ما يقول، وأجب عليه إذا كنت طرفاً فى الحوار.

فالإنسان بساحاته كلها مجال للحوار، وضمن دائرة الحوار، لا تغيب منه ساحة عن شمس الحوار، ولا تتمتع فيه مساحة من استمتاع بوابل الحوار الطيب. من وافقك حاوره ليوافقك عن بينة، ومن خالفك حاوره ليخالفك عن معرفة^(٢). فالحوار هو الأصل، قال تعالى: ﴿ ادْخُلُوا فِي آلِ الْيَسْلَمِ كَأَقْفَةٍ ﴾ [البقرة: ٢٠٨]. وإذا كنت لا أريد أن أعد ما يمكن أن يدخل فى مجال الحوار، وما لا يمكن أن يحتوى عليه هذا المجال، مادام الإنسان بكل ما يصدر عنه محل حوار، إلا إننى أذكر بعض مجالات الحوار - على سبيل المثال - التى ندعو الأمم - الغرب - للاستفادة من تشريع الإسلام فيها، ويأتى فى مقدمتها^(٣).

- حقوق الإنسان وتكريمه وحمايته. • إعداد المرأة والأسرة وبناء المجتمع النظيف
- ربط العلم بالإيمان لإسعاد البشرية. • المحافظة على الصحة العامة للإنسان.
- مكافحة الإرهاب فى العالم. • تعايش الإنسان مع البيئة الطبيعية.

(١) أخرجه الميثمى فى الزوائد : ب (فى ضوء العالم)، ج١ ، ص ١٢٩ ، طبعة دار الريان للتراث ، القاهرة ، ١٤٠٧ هـ .

(٢) محمود عكام: مرجع سابق، ص ٢٨.

(٣) عبد الله بن عبد المحسن التركى : سلسلة فكر المواجهة، ص ١٤ (٢)، تصدرها رابطة الجامعات الإسلامية، ندوة بعنوان: الإسلام وحوار الحضارات، دار البيان للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة ، ٢٠٠٢.

- وقف الحروب بين الأمم والشعوب.
- التعاون الدولي (العالمى) بين الأمم والشعوب.
- إشاعة السلام فى الأرض.
- تنمية مكارم الأخلاق فى المجتمعات • حُسن استغلال المال.
- الإنسانية.
- العولمة.
- إعمار الأرض والمحافظة عليها.
- قيمة العقل فى الإسلام.

فدين الإسلام دعوة عالمية: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَكَافَّةٍ لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ [سبأ: ٢٨]، فلم يكن الإسلام أبداً دعوة إقليمية أو قومية.

والإسلام يرفض أى شىء معاد للحوار، مثل التى صدرت عن (فوكوياما) حين قال: الحضارات ستذوب فى الحضارة الأمريكية. وهيتتجتون الذى قال فى كتابه صدام الحضارات: إن الإسلام خطر أخضر، وهو ذاتى التدمير، ويجذر من تحالف الإسلام مع الكونفوشيسية ضد حضارة الغرب.

منطلقات الحوار مع الآخر (الغرب)

توجد منطلقات إسلامية كثيرة وإيجابية إلى أبعد الحدود يمكنها أن تمهد الطريق لحوار دينى حضارى بين الإسلام والغرب بمفهومه الواسع الذى يشمل كل الدول غير الإسلامية. ويتطلب ذلك منا أولاً أن نجعل من تراكمات الماضى المؤسف، ومن وقائع الحاضر المؤلم، دافعاً قويا يدعم الإيمان بضرورة الالتقاء على كلمة سواء، والثقة بأن العنف لم ولن يحسم الصراع لصالح أحد الأطراف، فضلاً عن أن يقرب بين نقاط الخلافات العقدية، والمنطلقات الثقافية، فيصبح الحوار على رأس قائمة أولوياتنا.

وتمثل أهم دعائم إنجاح الحوار الحضارى فى القناعة المبنية على الواقع فى وجود نقاط التقاء مشتركة بين الإسلام والغرب، والعزم الصادق على استثمارها إلى أقصى حد ممكن بهدف الوصول إلى فهم صحيح، واحترام متبادل وتعاون مخلص بين جميع أطراف الحوار^(١).

ومن أهم المنطلقات الإسلامية المدعمة للحوار مع الغرب ما يلى:

١- يؤمن المسلم بصدق نبوة الأنبياء الذين تلقوا الوحي الإلهى، مثل إبراهيم وموسى وعيسى ثم خاتمهم محمد ﷺ، وكذلك بصدق أصول رسالاتهم السماوية. ويمتاز الإسلام

(١) السيد محمد الشاهد: آفاق المستقبل، ودعم الحوار بين المسلمين والغرب - نحو كلمة سواء بين الإسلام والغرب، مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية مرجع سابق، ص ٧٤٢.

بميزة كبرى لا تتوفر لغيره من الأديان ، وهو إيماؤه بكل الديانات السابفة ، وهذه ميزة تجعله متحررا من العقد والحسابات والنفور الذي قد يشعر به الآخرون في مثل هذه الأحوال . فضلا عن ذلك دعا القرآن الكريم إلى ضرورة تعرف كل جانب على الجانب الآخر ، وتفهم مواقفه على قاعدة المساواة التامة ، وهو ما تعبر عنه الآية القرآنية التالية: ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ﴾ [الحجرات: ١٣] . وقد أكد الإسلام على هذه الوحدة تأكيدا لا يقبل التأويل حين اعتبر الإساءة إلى أي فرد من أفراد الإنسانية بعد إساءة إلى الإنسانية كلها ، وفي المقابل يعد تقديم الخير إلى أي فرد واحد من الإنسانية بمثابة تقديم الخير إلى الإنسانية كلها ، وهذا ما عبرت عنه الآية القرآنية التالية: ﴿ مِنْ أَجْلِ ذَٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّهُ مَن قَتَلَ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [المائدة: ٣٢] .

٢- يلى الإسلام جميع جوانب الحياة الإنسانية، المادية والعقلية والروحية بدرجات متوازنة، كما يقدم منهجًا متوازيًا حياتيًا متكاملًا يقوم على الربط التام بين الإيمان والقول والعمل.

٣- يعد الإسلام كل عمل نافع في الدنيا لا ينتج عنه أي ضرر لفاعله أو لغيره من البشر جزءًا من عبادة الله . ولا يسأل الإنسان إلا عما يفعل ، وإذا ما أخطأ دون قصد، أو بقصد، ثم تاب عن ذلك توبة نصوحًا، فرحمة الله وسعت كل شيء . وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ قُلْ لِمَن مَّا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَيْرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾ [الأنعام] وقوله تعالى: ﴿ وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلِّمٌ عَلَيْكُمْ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ أَنَّهُ مَن عَمِلَ مِنْكُمْ سُوءًا بِجَهْلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الأنعام] .

٤- يقدم الإسلام للإنسان نظامًا اجتماعيًا متكاملًا يضم في تناسق تام المصلحة العامة والخاصة، أو يرفض رفضًا تامًا الفصل بين الدنيا والدين، ويستمد الإسلام هذا المنهج من عصر النبوة، حيث كان رسول الله ﷺ نبيًا وحاكمًا لأول دولة إسلامية أسسها في المدينة المنورة، وكتب لها دستورًا الذي تضمن تنظيمًا دقيقًا لكل ما تحتاجه من مؤسسات

وقوانين، عرضت في كتب السيرة بصحيفة المدينة^(١).

٥- الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم قادر، ولم يجاربه كما يدعى البعض. ويكفي أن أول خمس آيات أنزلت منه تأمر بالقراءة وطلب العلم قال تعالى: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَلْقِ أَقْرَأْ ﴿٣﴾ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٤﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٥﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٦﴾﴾ [العلق].

ويذهب الإسلام إلى أبعد من ذلك في تكريم العلماء فيقول الرسول ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»^(٢).

٦- الحرية السياسية - المتمثلة في حرية التعبير عن الرأي، والمشاركة في الحكم - مكفولة في الإسلام، ومنصوص عليها في القرآن الكريم، ومطبقة في السنة النبوية، وسنة الخلفاء الراشدين. وقد أرسى الإسلام بذلك القواعد الأولى لنظام ديمقراطي، تتعدد فيه المؤسسات والاختصاصات.

٧- كان الإسلام ولا يزال منفتحاً على الثقافات الأخرى، وكان على المسلمين التعامل والتفاعل باستمرار مع العناصر الثقافية الغربية، ليأخذوا منها ما رأوا فيه فائدة، وتركوا غير ذلك دون خوف على هويتهم الإسلامية. فهي ثقافة منفتحة، فالثقافة الإسلامية ليست ثقافة منغلقة، بل هي لأصالتها وقوتها منفتحة على الثقافات الأخرى بضوابطها، فالرسول ﷺ أبقى الصالح من أحوال الجاهلية، فأبقى الرسول ﷺ الكثير من مناسك الحج التي توارثها العرب من ملة إبراهيم مثل الطواف والسعي بين الصفا والمروة، وأبطل الطواف بالبيت في حالة العري كما كان بعض العرب يفعلون^(٣). ونحن كمسلمين يجب أن ندرك حقيقة ما يدور حولنا من مشكلات العصر وقضاياها، مبشرين ومقنعين غيرنا بعالمية الإسلام وصلحياته لكل زمان ومكان، وقدرته الاستيعابية لأحداث الحياة، ومشاكل الناس وانفتاح المسلمين على كل الحضارات والمبادئ البناءة، وقابليتهم ومرونتهم للتعلم المتبادل، ولعل القرن الحالي - الحادي والعشرين - يكون قرن الحوار المستمر البناء بين الإسلام والغرب، خاصة أن الإسلام يجد موقعه في كل بيئة وحضارة، ويستجيب لمطالب وحقوق الإنسان في كل زمان ومكان.

(١) السيد محمد الشاهد: مرجع سابق، ص ٧٤٣.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، ج ٥، مؤسسه قرطبة، مصر، ص ١٩٦.

(٣) يوسف الفرضوى: ثقافتنا بين الانفتاح والانغلاق، مرجع سابق، ص ٣٧.

٨- يجب أن تكون محاور الحوار مقاربة (مشتركة)؛ لذا يجب تشخيص أبعاد الحوار لتكون النتائج جيدة، وهذا شرط منطقي لنجاح الحوار، بدلا من أن يكون الحوار مضيقا للوقت. أى: الانطلاق من القضايا المشتركة.

٩- أن يتسم الحوار بالموضوعية، وهذا واضح في الآية القرآنية التالية، والتي من خلالها تأمر الرسول ﷺ بأن يدخل في الحوار بروح موضوعية: ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [النقص].

١٠- التوافق بين أصحاب الحوار والموضوع نفسه:

يجب على أصحاب الحوار أن يعلموا بالموضوع وعناصره أو من يقوم بالحوار ينبغي عليه أن يكون من أهل الاختصاص، ليكون الاستدلال متجا. وهذا واضح في قوله تعالى: ﴿ هَتَأْتُمْ هَتُؤَلَاءِ حَنَجَجْتُمْ فِيْمَا لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ فَلِمَ تُحَاجُّوْنَ فِيمَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [آل عمران]. ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ يَقْتَرِسُلْطَنَ أَتْنَهُمْ إِنْ فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرٌ مَّا هُمْ بِبَلِيغِيهِ فَاَسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴾ [غافر].

١١- بساطة المعنى ووضوح الفكر: حيث يستند الحوار مع الغرب على البساطة في اللفظ، والوضوح في المعنى، واليسر في الدين، فهذا الدين الإسلامي يخاطب فطرة الإنسان، ويتعامل مع ظروفه، ويلبي رغباته، ويعالج قضاياها، ويربط في تناسق وانسجام بين ما يتضمنه من حقائق ووقائع الحياة، فمشكلات الناس وقضاياهم، يجدها الإنسان معروضة بصورة مبسطة، سهلة الفهم والاستيعاب في القرآن الكريم وفي السنة النبوية المطهرة^(١).

١٢- حوار يستند إلى منطق العقل ويقوم على الحججة البالغة:

لقد كتب الله تعالى في سنته أن يكون منطق العقل تاج هذه الحياة الإنسانية، كما كتب الله في لوح هذا الوجود أن يقوم نبي الإسلام داعيا إلى الحق بمنطق العقل هو ومن تبعه. وقد جعل الإسلام العقل حكما في كل شيء، فمن ربي على التسليم بغير عقل، والعمل بغير فقه، فهو قاصر الإيمان، حتى لو كان عمله صالحا، فليس القصد من الإيمان أن يذلل

(١) محي الدين عبد الحلیم: أصول الحوار الإعلامي مع غير المسلمين بين النظرية والتطبيق، ص ٨٠٠، بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المنعقدة بالقاهرة.

الإنسان للخير كما يذلل الحيوان، بل القصد منه أن يرتقى عقله وترتقى نفسه بالعلم .
 فيعمل الخير؛ لأنه يعرف أنه خير، ويترك الشر؛ لأنه يفهم سوء عاقبته ودرجة
 مضرته^(١).

وما أكثر الآيات القرآنية التي تطلب من الإنسان أن يفكر ويتدبر ويطلق عقله ليستنبط
 به، ثم يعتبر من خلال النظر إلى ما حوله من ظواهر طبيعية وحقائق علمية يؤكد ذلك ما
 قاله الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾ [الروم]. والحوار مع
 الغرب يجب أن يستبعد أسلوب الإهاجة والإثارة.

١٣- التدرج المرحلي في الحوار مع الغرب: يعد التدرج من أبرز المناهج المناسبة
 للحوار مع الغرب، لا سيما أصحاب الشرائع السماوية الأخرى، نظرًا لوجود مساحة
 مشتركة من التفاهم بين الإسلام والشرائع الأخرى، وهنا يبدأ الحوار بالأشياء المتفق عليها
 ويتدرج بعد ذلك حتى يصل إلى القضايا الخلافية . ولعل رعاية الإسلام للتدرج هي التي
 جعلته يبقى على نظام الرق الذي كان سائدًا في العالم كله عند ظهور الإسلام، ولو تم
 إلغاؤه مرة واحدة لأدى ذلك إلى زلزلة في الحياة الاجتماعية والاقتصادية، فكانت الحكمة
 في تضيق روافده ما وُجدَ إلى ذلك سبيل، وتوسيع مصارفه إلى أقصى حد، فيكون ذلك
 بمثابة إلغاء للرق بطريق التدرج^(٢).

دوافع الحوار وأهدافه:

إننا في أعين بعض أهل الغرب مجرد غزاة خرجوا من الصحراء لكي يسيطروا على العالم
 وليسفكوا الدماء، ويهدموا الحضارات، وفي أعين بعضهم الآخر لسنا إلا هرطقة من
 هرطات المسيحية المنشقة عنها، ومن وجه ثان نحن نبدو لهم أصحاب دين لا يهدف إلى
 هداية البشر بقيم الأخلاق والروح والسلم بقدر ما يهدف إلى احتياج السلطة السياسية،
 والقوة العسكرية لممارسة الإكراه والعدوان، ومن وجه ثالث لا يرى فينا الغلاة من أهل
 الغرب إلا برابرة معادين لقيم الحرية والمساواة والكرامة والعدالة الإنسانية وحقوق
 الإنسان، لا نعبد الله بقدر ما نعبد الجنس والشهوة والاستبداد والخنوع أيضًا^(٣).

أما الغرب في أعيننا، فيتمثل في نزعة الهيمنة والسيطرة، وفي العداء المييت المنظم والتآمر

(١) المرجع السابق: ص ٨٠٠، ٨٠١.

(٢) يوسف القرضاوي: مدخل لمعرفة الإسلام، ص ١٢٩، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٩٦م.

(٣) خالد محمد الأصور: مرجع سابق، ص ١٦٦.

على مشاريعنا وتطلعاتنا، ولا نتصور الغرب إلا في مسوح المادية الصارخة، وفي العلمانية المعادية للدين، وفي الليبرالية، وفي الفساد الأخلاقي والاجتماعي، وأمور كثيرة لا تثير في نفوسنا إلا النفور والعداء والكرهية، وكل هذا وذلك يقال من هذا الطرف أو ذاك، ولا يخفف من حدة ذلك

ألا تلك الجهود المحدودة التي لا يدخر أصحابها وسعا في أن يبينوا لأقرانهم أن في ذلك كله مبالغات لا مسوغ لها، وأوضاعا ينبغي الاعتناق منها لرؤية المناطق المضيفة التي تبعث على الإعجاب والتعاطف والتواصل وراء أحقاد الماضي وكرهيات الحاضر وهو اجس المستقبل، فنتبين إلى أي مدى نستطيع إقامة علاقات إيجابية مع هذا الغرب في المستقبل، وما هي طبيعة التواصل أو الالتقاء أو الحوار أو التناوب أو التنافر أو العداء التي يمكن أن توجه إليها هذه الأسس^(١).

وأعلن الرائد اللاهوتي الألماني البروفيسور "هانز كونج" وهو أحد المهتمين بمسألة الحوار أنه "بدون سلام بين الأديان، سيكون هناك حرب بين الحضارات، ولا سلام بين الأديان بدون حوار بينهم، ولا حوار بين الأديان بدون البحث في أسسها" فما الذي يجب عمله إذا؟ ماذا يمكن أن نفعل؟ ما هي العلاقات الجديدة التي يجب علينا أن نسعى لتكوينها؟

الإجابة على هذه الأسئلة عن طريق أربع مقولات لتغيير التوجه:

- ١- الصداقة لا العداء .
- ٢- التفهم لا الجهل.
- ٣- الانفتاح لا الانغلاق.
- ٤- التعاون لا المجابهة
- ١- الصداقة لا العداء :

لقد اخترت - كما يقول الأسقف "كانتربري" في محاضراته بجامعة الأزهر - كلمة "الصداقة" مفضلا إياها على كلمة "التسامح" من أجل المعاني المتعددة المرتبطة بالكلمة الأخيرة، فأنا - الأسقف - مع التسامح الحقيقي، لكن هناك فهم علماني ضيق يجب أن نراقبه بحذر وهو الرأي الذي يساويها باللامبالاة التي نشعر بها تجاه الأشياء التي لا تهتم وهذا ليس بتسامح حقيقي، ولكن التسامح الحقيقي يظهر عندما يعتنى الناس من أعماقهم بمعتقداتهم، وفي نفس الوقت يظلون قادرين على احترام حق الآخرين في اعتناق

معتقدات مخالفة ، وأن يعيشوا في سلام معهم^(١) .

٢- التفهم لا الجهل:

إن جهل بعضنا ببعض لهو أمر جد خطير ، فالجهل هو أخطر أمراض الحضارة ، وهو ينبع من الخوف وسوء الفهم والتعصب ، وقد تتبع كتاب صدر في (١٩٩٣م) للدكتور (عزيز العظمة) الطريقة التي بها فهم الإسلام في الغرب عبر العصور المختلفة ، حيث أظهر التشوهات التي تعرض لها الإسلام ، عبر ثلاثة عصور ، فحتى زمن حركة الإصلاح في القرن السادس عشر وجد الإسلام كدين متعصب وشرير ، وفي خلال عصور التنوير في القرن الثامن عشر كديانة غريبة ، أو بالأحرى سخيفة وفي العصر الحديث كدين يجب الخوف منه .

٣- الانفتاح لا الانغلاق :

إذا كان للحوار أن يستمر من خلال الصداقة فلا مناص من أن نتناول مسألة الانفتاح التي تطرح نفسها بالبحر ، فإذا كنا حقاً ننشد السلام والتآلف على ظهر هذا الكوكب الصغير المزدهم؛ فيجب أن تكون روح الصداقة والاحترام متبادلة بيننا وبين هؤلاء الذين يخالفوننا في العقيدة .

٤- التعاون لا المجابهة :

أى يجب إقامة علاقات متداخلة تقوم على مصالح مشتركة ، وكذلك محاولة تفهم الآخر - الغرب - وتقبله كما هو ، دون أن يعنى ذلك تطابق جميع الآراء والاتجاهات والموافقة عليها ، فالتعاون شأنه شأن التعددية ، وهى تعنى احتفاظ كل فريق بخصائصه وصفاته وقبول الآخر على حاله، وإلا انتهى التعاون والتعدد ، ولا بد في هذا المجال من التفرقة بين الأفكار والمواقف ، وبين التعاون وتبادل العلاقات الثقافية ، وكذلك لا بد في المجال الدينى من التفرقة بين العقيدة والمعاملة ، فإن المرء يمكن أن يحتفظ بأرائه وبمواقفه القومية والوطنية وبعقيدته الدينية وفي نفس الوقت يقيم علاقات سياسية واجتماعية وثقافية واقتصادية مع من يخالفه^(٢) . قال تعالى في ذلك : ﴿ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ

(١) المرجع السابق ، ص ١٦٧ .

(٢) خالد محمد الأصور : مرجع سابق ، ص ١٦٨ ، ١٦٩ .

سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٥﴾ [النحل].

شروط الحوار ووسائله :

يكون الحوار المسؤول الوسيلة المهمة والأساسية لتصحيح صورة الإسلام في الغرب ؛ إذ بالحوار يفتح العقل والفكر على مجالات الوعى والفهم المتبادل لكل من الجانبين ، لاختلاف الجهات ، والجنسيات والعقائد ، والحضارات. وبالحوار المؤمن بشرعية الاختلاف تتجاوز مرحلة الصراع ، وعقدة العالم الجديد في الهيمنة والسيطرة ، ولا يتم ذلك إلا بالفهم العميق لبيته وعقليته ، وجميع مشاكل العصر وأيديولوجياته ، ومن ثم نظم الإسلام آليات (وسائل) الحوار، والتي من أهمها:

١- الحكمة والموعظة الحسنة ، والجدال بالتي هي أحسن كما جاء في قوله تعالى: ﴿ آدُعْ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَدِلْ لَهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [النحل: ١٢٥] .

٢- الإقناع بالبرهان ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ [البقرة].

٣- الاعتدال وإقامة الحججة على الناس ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ لَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ﴾ [البقرة: ١٤٣].

٤- الدفع بالتي هي أحسن : كما جاء في قوله تعالى: ﴿ آدْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ [فصلت].

وبهذه الآيات ، وهذا الأسلوب والمنهج ، حاور الرسول ﷺ أعداءه وخصومه على مختلف مستوياتهم وعقائدهم وطبقاتهم ، حتى أولئك الذين قاطعوه وحاصروه سواء في المرحلة المكية أو المدنية ، وهو ما يقتضى منا الاقتداء بالقدوة الحسنة الرسول ﷺ ، وذلك بالعمل على فهم الآليات - الوسائل - المتحكمة في العلاقات بين الأمم والشعوب ، وتجنب التعامل مع أطروحات (صراع الحضارات) (وصدام الثقافات)، (ونهاية التاريخ)، وحتى نفوت الفرصة على أصحاب تلك النظريات والأفكار .

ولكى يأخذ الحوار بأسباب النجاح ينبغى ان تتوافر فيه الشروط التالية :

١- أن يكون الحوار متكافئاً: أى: المساواة التامة بين أطراف الحوار، أى : تتوافر له شروط المساواة والندية والإرادة المشتركة، وأن تتعدد مستوياته وتتفاوت درجاته، بحيث يكون حواراً شاملاً، يدور على مختلف الفئات والشرائح، وعلى المستوى الحكومى، وعلى صعيد المؤسسات الأهلية ذات العلاقة بالقضايا والمجالات التى تحدد لهذا الحوار، فالحوار كما هو معروف يتطلب أن يكون هناك طرفان أو أكثر كل منهما نذ للآخر، فليس هناك حوار حقيقى بين طرف يفرض إرادته ويميل شروطه، وطرف ضعيف لا حول له ولا قوة.

٢- الاعتراف بالآخر : لا يكتمل الحوار إلا بالاعتراف بالآخر، والإسلام يعترف باليهودية والمسيحية (النصرانية)، وأصحابها لا يعترفون بالإسلام كدين سماوى، فإذا غاب هذا الشرط فلا اعتراف بالتعددية، ولا إمكانية لقيام حوار حقيقى بين الأديان، ورغم ذلك ومع الواقع الراهن فلا بأس من الحوار؛ لأنه يحقق بعض المكاسب المرجوة، فهناك إتاحة الفرصة للتعارف بين الناس، وهناك إتاحة الفرصة لكشف الحقائق وتبديد الأوهام والأكاذيب والشبهات، وقد حدث تعاون بين المسلمين والمسيحيين فى بعض المؤتمرات الدولية الأخيرة - مؤتمر السكان الذى عقد بالقاهرة عام ١٩٩٤ م - دفاعاً عن الأسرة الشرعية، ويستطيع أهل الديانات المختلفة بالحوار أن يتعاونوا فى حقل القيم والأخلاق^(١).

٣- أن يكون هناك قضية يتحاور الجانبان بشأنها: ولا بد فى هذه الحالة أن تحدد بدقة عناصر القضية حتى لا يدور الحوار فى حلقة مفرغة. ولا يستثنى من الحوار إلا القضايا التى تدخل ضمن اختصاصات السيادة فى الدول العربية الإسلامية.

٤- وضوح الغاية من الحوار: هل الحوار لمجرد الحوار؟ أم أن هناك غاية يراد تحقيقها والوصول إليها؟ ونخشى أن يغدو الحوار هواية ووسيلة تسلية وأن يعزل عن دوره البناء فى خدمة المجتمع وتطويره^(٢) - خدمة البشرية جمعاء- وفى النهاية يحقق الحوار منافع مشتركة لأطراف الحوار، بحيث يكون لهذا الحوار تأثير إيجابى على مجمل العلاقات بين الإسلام والغرب.

٥- وجود مناخ مناسب للحوار: لذلك فأى حوار ناجح لا يجوز أن تكون غايته العمل

(١) خالد محمد الأصور: مرجع سابق، ص ١٧٠.

(٢) محمود عكام: مرجع سابق، ص ٣١.

على إلغاء الطرف الآخر أو استبعاده أو التقليل من شأنه ، ومن ثم احترام المتحاورين بعضهم ، وأن يكون الحوار متحضراً ، ولا يعنى الحوار بأى حال من الأحوال محور الهوية الخاصة لكل من الديانات الثلاث - اليهودية والمسيحية والإسلامية - أو تنازل أصحابها عن بعض معتقداتهم لصالح أى طرف ، فهذا أمر غير وارد ، ومن ثم يجب تجنب المسائل ذات الحساسية التي تؤدي إلى التأثير على إيجابيات الحوار

٦- الإنصاف : أى الإقرار بما هو خطأ وما هو صواب ، وبغياب الإنصاف تغيب حتمًا الحقيقة ، ووجود الإنصاف تبدو الحقيقة ، فالقضية موضوعية ، وليست ذاتية^(١) .

٧- المرجع المتفق عليه في الحوار : والحكم ينبغى توضيحه في الحوار . لقد رضينا شرع الله ، وعلى الآخرين أن يبينوا ما يريدون^(٢) .

ويتعين علينا - كمسلمين - أن يوفد إلى مؤتمرات الحوار من يستطيع مجاراة الناس والتفاهم معهم وتفاهم مراميمهم ، واستغلال حسن النوايا وتشجيعها وتأييدها والانتباه لسيئها والاحتراز منه ، وتعريته والتحذير منه ، وفي هذه الحوارات توجد الفتتان ، أى : حسنو النوايا ، صادقو العزائم ، متفتحو العقول والقلوب ، وكذلك الخيئة ممن يكيدون للإسلام وأهله ، ويقض مضجعهم تفاهم أهله مع الغرب ، أو تفهم الغرب حقيقته ، وكلا الطرفين جدير بالحوار ، ولكل فئة مراميمها ، ولكل منهما طريقتها ، ولكن ما هو الأسلوب الذى يصلح للتفاهم معها ، وليس أضر على الإسلام من الانكماش وترك المساحة لمن لا يرجون له ولأهله الخير سواء كانوا ممن ينتسبون إليه زورًا وبهتانًا ، أو ممن يجهلونهم ولكنهم لا يكفون عن لى ألسنتهم بما يعيبه ، ولا علاج لكل ذلك إلا بالخروج إليهم ومنزلتهم حتى يتبين الخبيث من الطيب^(٣) .

٨- تأجيل ما ينكأ جرحًا ، أو يذكى نارًا : وذلك حتى يثنى وجود إستراتيجية استماله القلوب أولاً ، والإحسان إلى من يظهر بعض الشيء من الاعتدال في ذلك .
العوامل المؤثرة في دعم الحوار :

- ١- طى صفات الصراع ، والاختلاف والتناحر بين الإسلام والغرب ، وعقد النية الصادقة لبناء مستقبل مشترك آمن ، متعاون ، أساسه الحوار والتسامح والاحترام المتبادل .
- ٢- دعم وسائل الإعلام وأدواته في العالم الإسلامي ببرامج ثقافية منهجية عن الإسلام

(٢،١) المرجع نفسه ، ص ٣٢ .

(٣) خالد محمد الاصور : مرجع سابق ، ص ١٧١ .

وقيمة العليا ، ومبادئه السامية ، وإظهار مكارمه ومزاياه .

٣- تقوية البناء الداخلي للعالم الإسلامى بأكمله ؛ لأن مصدر ضعفنا يكمن فى عدم الوفاء بمقتضيات التضامن الإسلامى بكل أبعاده ومقاصده وغاياته ؛ لذا ينبغى أن ننسق الجهود ، ونتبادل المنافع والمصالح فيما بيننا ، ومحترم بعضنا البعض ، بالمعنى الأخلاقى والدستورى للاحترام .

٤- تحفيز العوامل الذاتية : أى أن حوار الإسلام والغرب - المسلمين مع الغرب - لا بد أن تتوفر له الرغبة والإرادة والمصلحة ، كذلك العوامل النابعة من الذات ، لذلك فإن حوارنا مع الغرب سيظل مرتبطاً بأحوالنا الداخلية وبأوضاعنا السياسية والاقتصادية ، وليس معنى ذلك أننا ستوقف عن الجهود المبذولة التى نبذلها من أجل التقارب والتواصل مع الغرب ، وإلى أن نبلغ المستويات الراقية من التقدم التى تؤهلنا لاكتساب شرط التكافؤ والندية مع الغرب ، ولكن نقصد بالمعنى هنا أن تتكامل جهودنا وتترابط مساعيها ، نرسمها لأنفسنا ، وهذا يقتضى أن نعمل دائماً من أجل إقناع الغرب بأننا جديرون معه على كل المستويات، وبأننا أمة إسلامية قابلة للتعايش والتعاون الشاملين مع كل الأمم والشعوب، وأن التعاون والتعايش والتسامح قيم ثابتة وراسخة فى حضارتنا^(١).

٥- تجديد الخطاب الدينى : وذلك لمواكبة روح العصر - مستجدات العصر - التى يعيشها الإنسان فى عصر العولمة ، فالإسلام دين الحضارة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معانى ، فالتجديد فى العلوم الشرعية أمر مهم ، وقد دلت السنة النبوية على حاجة الدين إلى التجديد ، وإن الله تعالى يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد فى الأمة ، فالتجديد فى الخطاب الدينى لا يتحقق بالخيال أو الأمانى، وإنما يقوم على الجهد والعلم الذى يكشف عن الجديد المتميز فى نوعه أو الجديد الأصيل الذى له قيمة ومنفعة ، والتجديد الذى نعيه هو كيفية نقل هذه الصورة للإسلام الحضارى إلى الآخر بأسلوب نريد أن يأخذ ساحة الحداثة والتجديد فى الشكل والمضمون .

التأكيد على ثقافة الحوار الإيجابى بين الإسلام والغرب :

ينبغى تأصيل « ثقافة الحوار الإيجابى » فى حياتنا العملية عبر استمرار وتواصل العلاقات الثقافية والسياسية والاقتصادية ؛ لأن القطيعة السياسية بين العالمين الإسلامى

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجى : آفاق مستقبل الحوار بين المسلمين والغرب، ص ٧٠٢-٧٠٣ بحث مقدم للمؤتمر العام التاسع للمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية المتعد بالقاهرة.

والغربي ، ليست في مصلحة أى من الطرفين ؛ لذلك لابد من تفعيل « ثقافة الحوار الإيجابي » بشكل دائم بين الإسلام والغرب في إطار التفاهم ، وبما يخدم المصالح العليا للإسلام ، فالإسلام كان أول الأديان السماوية الذى دعى إلى الحوار والتعارف والتعاون ، ولم يكتب الإسلام بالدعوة إلى الحوار فقط ، بل رسم لنا منهج الحوار بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ﴾ [المنكوب: ٤٦] ، فالإسلام - الدين الإسلامى - يأمر المسلمين بالحوار مع الآخرين - غير المسلمين .

فالقرآن الكريم بين بوضوح القواسم المشتركة وحض عليها ، وصرف النظر عن الأمور الأخرى ؛ لأن الله سبحانه وتعالى هو الذى سيفصل بين الناس يوم القيامة ، كما جاء في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِينَ وَالنَّصِرَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴾ [الحج] . من هذا المنطلق فإن المسلمين يضمنون لأتباع الديانات الأخرى حرية ممارسة عقائدهم الدينية كما يشاؤون ، كما أن المسلمين يضمنون حتى للكفار حرية ممارسة دينهم كما جاء في قوله تعالى: ﴿ قُلْ يَتَّيِبُهَا لَكُمْ فَارُوا ۖ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ۗ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۗ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ۗ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ۗ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ۗ ﴾ [الكاغرون] .

وإذا كان الإسلام يطلب الحق والعدل ويدعو إليه، فإن الوسيلة لإقرارهما تبدئ بالحوار الذى دعا إليه الإسلام .

مستويات الحوار:

يشير البعض إلى أن هناك ثلاثة مستويات للحوار^(١) :

١ . المستوى الأول: الحوار مع النفس ومحاسبتها وحملها على الجادة وطلب الحق ، ويكون هذا فى شكل حوار داخلى مستمر بين النفس الأمارة بالسوء والنفس اللوامة حتى يصل الإنسان إلى الاطمئنان .

٢ . المستوى الثانى: الحوار بين أفراد المجتمع الإسلامى وفق اجتهاداتهم المختلفة، عملاً بمبدأ التعاون فى الاتساق والاعتذار فى الاختلاف "حفاظاً على وحدة الصف

(١) محمد وجيه الصاوى: مرجع سابق، ص ١١٨.

٣. المستوى الثالث: الحوار بين المسلمين وغير المسلمين الذين يشتركون معاً في إعمار الكون، وهو حوار يجري وفق مبدأ التدافع الذي يمنع الفساد، وينمى عوامل الخير.

والبعض يرى تقسيم آخر لأبعاد الحوار: ومن أمثلة ذلك^(١):

أ- الحوار بين المسلمين المختلفين في الشؤون الشخصية.

ب- الحوار بين المختلفين في القضايا الاجتماعية

ج- الحوار بين الفقهاء.

د- الحوار العقائدي.

هـ- الحوار بين الأديان.

و- الحوار بين الحضارات.

وإن عالمية الإسلام تعنى أن هناك حضارات متعددة ومتميزة، أى أنها ليست متماثلة، وأيضاً ليست منغلقة منعزلة ومعادية، وإنما هناك نوع من الخصوصية ونوع من التشابه، أى أن هناك مشترك بين كل هذه الحضارات، وهناك بصمات ثقافية وحضارية تميز كل حضارة عن الحضارات الأخرى، وبين كل هذه الحضارات هناك قاسم مشترك تتفق عليه هذا هو البعد العالمي أو هذه هي العالمية في الكوكب الذي نعيش فيه^(٢)، ومن ثم فغاية الحوار فهم الآخرين - الغرب - وإقناع الآخرين - الغرب - بوجهة نظر معينة.

وهناك حوار إيجابي وحوار سلبي، فالحوار السلبي يعوق الحركة الصحيحة الإيجابية التصاعدية للفرد والمجتمع والأمة، وللأسف فكثير منها سائد في مجتمعاتنا، أما الحوار الإيجابي فنسعى لترسيخه بيننا وله مواصفات معينة، وتنفيذ ذلك يحتاج إلى وقت وصبر، ولكن لا مناص من المحاولة والصبر والمثابرة، فعلى أساس الحوار ينبنى السلوك وتتشكل العلاقات وينهض الفرد والمجتمع والأمة، ويتعايش الجميع في سلام وأمن ووثاق.

والحوار الإيجابي الصحي هو الحوار الموضوعي الذي يرى الحسنات والسلبيات في ذات الوقت، ويرى العقبات، ويرى أيضاً إمكانية التغلب عليها، وهو حوار متفائل وهو

(١) المرجع نفسه: ص ١٧٦.

(٢) محمد عمارة: العولمة وقضايا الفكر الإسلامي، ص ١١٨، أبحاث ندوة الإسلام والعولمة، الدار القومية العربية، القاهرة ١٩٩٩م.

حوار صادق عميق وواضح الكلمات ومدلولاتها وهو الحوار المتكافئ الذي يعطى لكلا الطرفين فريضة التعبير والإبداع الحقيقي، ويحترم الرأي الآخر، ويعرف حتمية الخلاف في الرأي بين البشر وآداب الخلاف وتقبله، وهو حوار واقعي يتصل إيجابياً بالحياة اليومية الواقعية، واتصاله هذا ليس اتصال قبول ورضوخ للأمر الواقع، بل اتصال تفهم وتغيير وإصلاح، وهو حوار موافقة حين تكون الموافقة هي الصواب ومخالفة حين تكون المخالفة هي الصواب، فالهدف النهائي له هو إثبات الحقيقة، حيث هي لا حيث نراها بأهوائنا، وهو فوق كل هذا حوار تسوده المحبة والمسؤولية والرعاية وإنكار الذات^(١).

حوار الحضارات:

الحوار مفهوم بناه القرآن الكريم - أولاً - في حضارتنا، وغرسه في تصورنا، وفي رؤيتنا الكلية، وجعله جزءاً من بنائنا العقلي والنفسي، بحيث لم يعد ممكناً تصور الاستغناء عنه في أي جانب من جوانب الفكر والتصور والسلوك. "والحضارات" جمع "حضارة" وللحضارة معنيان، معنى لغوي وآخر اصطلاحى.

تعريف الحضارة لغة:

فالحضارة - بكسر الحاء وفتحها - تعنى الإقامة في الحضر، وأن مظاهر الرقي العلمي والفنى والأدبى والاجتماعى في الحضر^(٢). وأورد صاحب القاموس المحيط أن معناها ضد (غاب)، والحاضرة والحضارة ويفتح خلاف البادية^(٣).

وجاء في لسان العرب مجموعة المعانى التالية:

الحضور نقيض الغيب والغيبة، وبمعنى "عنده" نقول: كنا بحضرة ماء، ورجل حاضر، قرب الشيء: الحضرة، وتقول: كنت بحضرة الدار. الحضر خلاف البدو، والحضارة الإقامة في الحضر. الحضرة: الحى العظيم^(٤). هذا في اللغة العربية، أما في اللغة الإنجليزية فكلمة حضارة (civilization) مشتقة من كلمة (civilis) في اللاتينية بمعنى المدينة أو من (civis) بمعنى مساكن المدينة أو من (civilis) بمعنى مدنى أو ما يتعلق بساكن المدينة حيث تقوم الحياة الحضرية عادة في المدن^(٥).

(١) محمد وجه الصاوى: مرجع سابق، ص ١٧٩ - ١٨٠.

(٢) المعجم الوسيط: مادة (حضر) ١/١٨٧ - مجمع اللغة العربية.

(٣) القاموس المحيط "الفيروز آبادى"، مادة "حضر"، ١١/٢ - طبعة دار الجيل - بيروت.

(٤) ابن منظور الأفريقى: لسان العرب، مادة "حضر"، ٩٠٧/٢ - دار المعارف.

(٥) طه جابر العلوانى: قضايا إسلامية معاصرة، "الخصوصية والعالية في الفكر الإسلامى المعاصر"، ص ١١٤، دار الهادى

ويستخدم بعض العلماء في مقابل كلمة حضارة كلمة (culture) التي تعرف بالعربية بلفظ "الثقافة"، وهذا الأخير من ناحية اشتقاقه اللغوي مأخوذ من اللاتينية، ويراد به إصلاح الشيء وتهذيبه وإعداده للاستعمال، ومن هنا قالوا: (Agriculture) أى إصلاح الأرض وزراعتها، أى أن الثقافة فن تهذيب العقل...، ومن ثم فإن لفظ: (culture) يفيد طريقة شعب ما في الحياة، ومجموعة أنظمتها وكذلك نظرتة إلى الحياة والكون^(١).

تعريف الحضارة اصطلاحيا:

ظهرت تعريفات متعددة ومتنوعة "لظاهرة الحضارة" وصيغت هذه التعاريف بصيغة التخصص، وتأثرت بزواية تناول التي يعتمدها الباحث في دراسته، فظهرت للحضارة تعاريف أنثروبولوجية وفلسفية وتاريخية وحضارية، وبنيت مناهج لدراسة الحضارة، منها المنهج الوصفي، ومنها التاريخي، ومنها التحليلي، والوظيفي، أما على مستوى التقويم الفكرى فهناك تعاريف ولدت ضمن إطار الوعى العقدي الغربى، وأخرى صيغت استجابة للنموذج الكونى التوحدي^(٢).

وقد أشار "ول ديورانت" في كتابه قصة الحضارة في العصر الحديث إلى أن الحضارة هي: «نظام اجتماعى يعين الإنسان على الزيادة من إنتاجه الثقافى»^(٣)، والحضارة تتألف من عناصر أربعة: الموارد الاقتصادية، والنظم السياسية، والتقاليد الخلقية، واتباع العلوم والفنون، وهى تبدأ حيث ينتهى الاضطراب والقلق^(٤).

ويعرف ابن خلدون الحضارة: بأنها ذلك النمط من الحياة المستقرة والذي يناقض البداوة، فينشئ القرى والأمصار، ويضفى على حياة أصحابها فناً منتظمة من العيش والعمل والاجتماع، والعلم والصناعة وإدارة شؤون الحياة والحكم وترتيب وسائل الدعة وأسباب الرفاهية^(٥).

النشأة المعاصرة لفكرة حوار الحضارات:

من الصعب تحديد تاريخ دقيق لهذا الذى صار يعرف فى أيامنا هذه بـ «حوار

للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط ١، ٢٠٠٣م.

(١) المرجع السابق نفسه: ص ١١٤.

(٢) المرجع السابق نفسه: ص ١١٥.

(٣) ول ديورانت: قصة الحضارة، ترجمة: زكى نجيب محفوظ، ٣/١، ٤، ط الرابعة، ١٩٧٣م.

(٤) عبد الرحمن بن محمد بن خلدون: المقدمة: تحقيق: على عبد الواحد، ص ٤٧٨، دار نهضة مصر، ط ٣، القاهرة، د. ت.

(٥) ابن خلدون: مرجع سابق، ص ٤٧٩.

الحضارات « ، لكننا بشيء من التجوز والتساهل ، يمكننا أن نربط بين قيام « عصابة الأمم » وانتهائها وعجزها عن الحيلولة دون وقوع الحرب العالمية الثانية . ثم قيام « الأمم المتحدة » ونشأتها في أعقاب الحرب العالمية الثانية ، فلقد أحس العالم - كله - المتصر والمغلوب بالحاجة الماسة إلى تحقيق سلام وبناء أمن عالمي ^(١) .

لقد ظن (هيجل) وغيره أن " فتح نابليون " لأوروبا كان " نهاية التاريخ " وبلوغ البشرية القمة بقيادة أوروبا أو (الغرب) الذي كانت تمثله آنذاك ، وأنه لم يصنع بعد ذلك التاريخ تاريخ ، ولكن خاب ظن هيجل وغيره ، فالحروب الصغيرة لم تنقطع ، وفي النصف الأول من القرن العشرين وحده قامت حربان كونيتان شكلت كل منهما تهديداً للعالم - كله - ولم تلبث أن نشبت - بعدها - الحرب الباردة التي لم تنته إلا بتفكيك الاتحاد السوفيتي ، واستمرت الحروب الصغيرة ولم تتوقف ، ولم تستطع الأمم المتحدة ولا غيرها إحلال الحوار محل الصراع في سائر القضايا الساخنة التي شهدتها العالم ، وإذا حدث شيء فلإننا هي مفاوضات لا حوار .

وحين نبحث عن فكرة الحوار وكيف راجت في العالم الإسلامي حتى يبادر إلى تبنيها كثير من القادة ، وروجت لها منظمة المؤتمر الإسلامي ، ودعا إليها كثير من الأكاديميين والمفكرين ، وعقدت بعض المؤتمرات حولها ، نجد أنها راجت لأن كثيراً من المسلمين يظنون أن خصومة الغرب لهم خصومة مبنية على جهل الغرب بهم ، وأن الحوار سيبنى جسوراً ، وسوف يعرف الغرب بالإسلام والمسلمين ، ومن التعارف سيكون التآلف والتعاون ، وينتهي الصراع .

كما أن البعض ظنوا أن الترويج لفكرة الحوار سيقابل الترويج لفكرة الصراع ، ولعله يهزمها ، وكان الصراع وأفكار الصراع طارئة متحولة في الشخصية الغربية يمكن إيقافها بذلك الشكل البسيط .

وهنا لا بد أن نذكر بأن الشرط الأساسي لبدء أي حوار هو الاستعداد الدائم لدى الأطراف المتحاورة لقبول نتائج الحوار . أما حين لا يكون هذا الاستعداد غير متوافر فإن الحوار - آنذاك - يكون مجرد محاولة من الطرف الأقوى لإقناع مواطنيه وغيرهم إن أمكن بشرعية فعله وعدالته بعد ذلك ، وأنه قد أعطى لخصمه الفرص المناسبة لتتلاقى الصراع ، ولكن ذلك الخصم عنيد - مهما كان ضعيفاً - وكان مصرّاً على موقفه ، وكان الحرب التي

(١) طه جابر العلوانى : مرجع سابق ، ص ١٢٨ .

سيشنها - بعد ذلك - فرضها عليه ذلك الضعيف فرضًا ، في حين أن الضعيف كان يتمنى فرصة الإفلات من تلك القبضة والتخلص من مصير قاتم لا يخفى عليه^(١) .

ويمكن الاستشهاد بهذا النوع من الحوارات بحوارات السلطة الفلسطينية مع الكيان الصهيوني ، وحوارات الحكومة العراقية مع الولايات المتحدة الأمريكية قبل الغزو الأمريكي للعراق ، وحوارات الولايات المتحدة مع كوريا الشمالية ، وإيران ، ... وغيرها وهذا يطلق عليه - طمسًا للحقائق: " حوار " . ويستطيع المراقبون لهذا النوع من الحوارات أن يجسد الكثير من النماذج، فإذا قام بتحليلها وتقويمها فإنه سيكتشف الكثير والكثير من خصائص الحضارة الغربية ، والفكر الذى يقود حركتها ، والرؤية الكامنة وراء منظومة القيم التى تفسر الكثير من إجراءاتها ، التى فيها : عدم الإنصاف والعدل ، والتعصب والكراهية ، والتعالى .

نحو أبعاد معرفية لحوار الحضارات :

إن الحديث المكرر والمعاد الذى يكثر تداوله في العالم الإسلامى عن حوار الحضارات وتنادى بعض القيادات السياسية الإسلامية بالإلحاح في المطالبة به ، وتكريس مبادئه ، هو حوار من طرف واحد، ويريد أن يعطى لنفسه صفة الشريك في صناعة صياغة القرار العالمى. لقد صار الحديث عن حوار الحضارات يمثل حالة بالغة التعبير عن عمق الأزمة التى يعيشها الفكر العربى والإسلامى^(٢) . وتتجلى هذه الأزمة في حالة التبعية الظاهرة المتمثلة في نقل الأطر النظرية الفكرية وتبنيها بصورة أيديولوجية ، أو في التبعية الكامنة، وجوهر الأزمة : من يحدد الإشكالات، ويثير القضايا ، ويحدد مجالات البحث - الحوار - وهذا يقع خارج البيئة الفكرية والاجتماعية العربية والإسلامية ويتحرك في إطار نموذج معرفى ومعطيات اجتماعية وتاريخية ، ومصالح اقتصادية وسياسية وقيم وأهداف مختلفة ، وإن لم تكن متعارضة بل متناقضة مع تلك التى يتحرك في إطارها الباحث والمفكر العربى والمسلم، فإنها لا تلتقى معها بأى حال من الأحوال^(٣) .

وبعد طرح صموئيل هينجتون في مقاله: " صراع الحضارات " بدأ العقل العربى والمسلم يشغل بهذه القضية ، وبدأت تستحوذ على أولوياته دون أن يكون ذلك نابغًا من

(١) طه جابر العلوانى: قضايا إسلامية معاصرة ، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامى المعاصر، مرجع سابق، ص ١٢٩ .
(٢) طه جابر العلوانى : الأزمة الفكرية المعاصرة : تشخيص ومقترحات علاج ، ط ٢ ، فريجينا ، العهد العال للفكر الإسلامى ١٩٩٢م .

(٣) طه جابر العلوانى : قضايا إسلامية معاصرة ، الخصوصية والعالمية في الفكر الإسلامى المعاصر، مرجع سابق، ص ١٣٠

إحساس عربي إسلامي بضرورة الحوار مثلاً أو كونه ضرورة اجتماعية أو مصلحة سياسية للمجتمعات العربية والإسلامية ، ودون أن ينبع هذا الطرح من داخل هذه المجتمعات ، بل جاء من خارجها وألقى عليها ، وقد حاول العقل العربي والمسلم أن يقدم إجابات عن سؤال لم يفكر فيه ولم ينبع منه ، ولم يمثل إشكالية فكرية ملحة على الأقل في المرحلة الراهنة لهذا العالم العربي والإسلامي ، إذا ما قيس بها يواجه هذه المجتمعات من قضايا وتحديات أخرى حتى أذهان أصحاب بعض المبادرات في الموضوع^(١) .

وبغض النظر عن موضوع هذه القضية في إطار أولويات الاهتمام في الفكر العربي والإسلامي ، فإنه ينبغي التأكيد على أن الاهتمام بها حالياً يعكس حالة من ردود الأفعال ، وليس الأفعال ، ويعبر عن وضعية معينة تصنع فيها الإشكاليات - الإشكالات - خارج الحدود ويتم تصديرها ، فبعد أن كانت تقدم إلينا الحلول سابقة التجهيز ، أصبحت الآن ومع التطور الفكري في العالم العربي والإسلامي تقدم إلينا الإشكاليات كما هي ، فنتشغل بقضايا لم تكن نابعة من ذواتنا أو معبرة عن همونا واهتماماتنا ، ولذلك فإن التركيز على نقد محاولات الانشغال بهذه القضية لا ينبغي النظر إليه على أنه مصادرة للمطلوب ، أو دعوة لغلق باب الحوار حول القضية ، ولكنه فقط لإثارة الانتباه إلى قضية معرفية أكثر خطورة وأهمية ، ينبغي التركيز عليها والتيقظ لها ، وإثارة الانتباه إليها^(٢) .

رؤية مستقبلية إلى التفاعل بين الحضارات :

لقد صدرت الدعوة إلى الحوار بين الحضارات من العالم الإسلامي ، تأكيداً للتفاعل فيما بينها ، حيث كان الرئيس الإيراني السيد محمد خاتمي في فترة رئاسته لمنظمة المؤتمر الإسلامي ، أول من اقترح على الأمم المتحدة أن تبني الفكرة ، وتعلن سنة دولية للحوار بين الحضارات ، وبناءً على هذا الاقتراح ، أصدرت الجمعية العامة للأمم المتحدة قراراً يجعل سنة ٢٠٠١م (سنة الأمم المتحدة للحوار بين الحضارات) ، وكان للمنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم - أيسيسكو - دور مهم في تنفيذ العديد من الأنشطة حول الحوار بين الحضارات ، ممثلة للعالم الإسلامي ، بناءً على قرار صادر عن المؤتمر الإسلامي لوزراء الخارجية^(٣) .

ولقد اهتم العالم الإسلامي ممثلًا في المنظمة الإسلامية للتربية والثقافة والعلوم ، منذ

(٢٠١) طه جابر العلواني : قضايا إسلامية معاصرة ، الخصوصية والعالية في الفكر الإسلامي المعاصر، مرجع سابق، ص ١٣١ .

(٣) عبد العزيز بن عثمان التويجيري : مرجع سابق ، ص ٣٥١ .

وقت مبكر بقضايا الحوار والتفاعل بين الحضارات ، وذلك في مستوياته الثلاثة :

- الحوار بين الحضارات .

- الحوار بين الأديان .

وقامت المنظمة بتأصيل علمى لمفهوم الحوار ، ولتفاعل الحضارة الإسلامية مع الحضارة الغربية - الحضارات الأخرى - من خلال منهج تاريخى استقرائى قادها إلى نتيجة مفادها .

أن مفهوم الحوار فى الفكر السياسى والثقافى المعاصر من المفاهيم الجديدة حديثة العهد بالتداول ، فليس الحوار من ألفاظ القانون الدولى ، إذ لا يوجد له ذكر أصلاً فى ميثاق الأمم المتحدة ، ولا فى الإعلان العالمى لحقوق الإنسان . ولا فى العهد الدولى الخاص بالحقوق الاقتصادية والاجتماعية ولا فى العهد الدولى الخاص بالحقوق المدنية والسياسية ، ولا فى إعلان مبادئ التعاون الثقافى الدولى^(١) .

ومن ثم، فإن الحوار مفهوم سياسى أيديولوجى ثقافى حضارى ، وليس مفهومًا قانونياً .

ويكتسب الحوار فى تراثنا الثقافى والحضارى معنى عميقاً يدل على قيم ومبادئ هى جزء أساسى فى الثقافة والحضارة الإسلاميتين . فالحوار قيمة من قيم الحضارة الإسلامية ، وهو وسيلة من وسائل التفاعل بين الحضارات ولمنع حدوث الصدام .

والحوار فى الإسلام يقوم على منطلقات، منها ما يلى :

١- الاحترام المتبادل .

٢- الإنصاف والعدل .

٣-نبذ التعصب والكرهية .

٤- التعايش بين الأديان .

وانطلاقاً من الرؤية إلى الحوار والتفاعل ، فإن الحوار الذى يؤدى إلى التفاعل ويحقق الأهداف الإنسانية العامة، لا بد وأن يسير فى اتجاهين رئيسيين هما :

الأول : إزالة الأسباب والعوامل والمشكلات التى تعوق التعاون بين الأمم والشعوب من أجل ما فيه الخير والمنفعة والمصلحة لها جميعاً ، والعمل على معالجة تلك القضايا والمسائل الشائكة التى تتسبب فى زعزعة استقرار المجتمعات والشعوب ، وأن يتم هذا كله

(١) عبد العزيز بن عثمان التويجى : مرجع سابق ، ص ٣٥٢ .

في إطار القانون الدولي .

الثاني : أن الحوار يتم بين الأفراد والمجتمعات والجماعات، وليس بين المعتقدات الدينية؛ لأن الهدف من الحوار هو تبادل المنافع والمصالح بين الناس لا التأثير في العقائد التي يؤمنون بها ، أو في الثقافات التي يتمون إليها ، على أساس من القواعد العقلية ، انطلاقاً من قاعدة (لا إكراه في الدين) ، لا شك أنها دليل على حرية المعتقد في المجتمع الإنساني ، وهذا المرتكز نابع من عقيدة المسلم، وإذ إنه أمر ألا يكره ولا يجبر أحداً على الدخول في الإسلام ، ولكافة الناس في المجتمع حرية الاعتقاد ، والله سبحانه وتعالى بين حرية الاعتقاد ، وأنه لا إكراه في الدين ، فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر وحسابه على الله ، قال تعالى : ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ ﴾ [البقرة : ٢٥٦] . ويقول تعالى : ﴿ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيُكْفِرْ ﴾ [الكهف: ٢٩] .

وقد بين الله سبحانه وتعالى أن الهداية بأمره ولو شاء لهدى الناس جميعاً ، قال تعالى : ﴿ لَيْسَ عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾ [البقرة : ٢٧٢] . ﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ كُلَّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْرَهُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾ [يونس].

وفي سنة رسول الله ﷺ توضيح لذلك ، فعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « من سمع يهودياً أو نصرانياً دخل النار » والمعنى : تسميعهم حول دينهم ما يكرهون ، وإذا كان تسميع أهل الكتاب ما يكرهون وإيذاؤهم في الكلام فحسب يدخل النار، فمن باب أولى أن يكون العقاب لمن اعتدى عليهم بالضرب أو القتل أو ما سواه .

وقال ﷺ : « من قتل معاهداً أو مستأمناً لم يرح رائحة الجنة »^(١) ، والمعاهد هو الكتابي والذمي المهادن الذي يعيش آمناً في ديار المسلمين ، وكل هذا من خلق الإسلام الذي يقوم على المحبة والتسامح والعتف والتعايش بين الناس، وليس على المقت والكراهية والقتل والأذى والضرر.

وفي الفصل التالي نعرض لعالم بلا شقاق، مبني على التعايش والتسامح والعدل والإنصاف وحسن العشرة مع الآخر (الغرب).

(١) أخرجه الزوار في مستنده ، ج٦ ، ص ٣٦٨ ، رقم (٢٣٨٣) ، طبعة مؤسسة علوم القرآن ، مكتبة العلوم والحكم ، بيروت ، لبنان ، ١٤٠٩ هـ .